

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

وهكذا ذكر أبو عبد الله الأنصاري القرطبي ذهاب لفيف من السلف إلى أن هذه الحروف رموز وأسرار استأثر الله بعلمها، لا يعلمها إلا الله، قال: «اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور؛ فقال عامر الشَّعْبِيّ وسفيان الثَّوْرِيّ وجماعة من المحدثين: هي سرٌّ الله في القرآن، وفي كل كتاب من كتبه سرٌّ. فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت. وذكر أبو الليث السَّمْعَانِيّ قَدْ دَرِيّ عن ابن مسعود أنَّهُ قال: الحروف المقطّعة من المكتوم الذي لا يُفَسَّر. وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطّعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله بها!». قال: «ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر ابن الأنباري بإسناده إلى سعيد بن مسروق عن الربيع بن خُثَيْم قال: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلم يتم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعملون. قال أبو بكر: فهذا يوضح أن حروفاً من القرآن سُتِرت معانيها عن جميع العالم، اختباراً من الله عز وجل وامتحاناً؛ فمن آمن بها أُثِيب وسعد، ومن كفر وشكَّ أُثِيمَ وبَعُد. وقال جمع من العلماء كبير: بل يجب أن نتكلم فيها، ونلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها؛ واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة؛ فروي عن ابن عباس: أن الحروف المقطّعة في القرآن اسم الله الأعظم، إلا أن الله لا نعرف تأليفه منها. وقال قُطْرُبُ والفراء وغيرهما: هي إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن: أن الله مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجّة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم. قال قُطْرُبُ: كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلمّا سمعوا: (الم) و(المص) استنكروا هذا اللفظ، فلمّا أُنصتوا له (صلى الله عليه وآله) أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف، ليثبت في أسماعهم وآذانهم، ويقيم